العنوان:	العلاقات العربية الإفريقية
المصدر:	المستقبل العربى
المؤلف الرئيسي:	المبارك، أحمد
المجلد/العدد:	مج 27, ع 311
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2005
الناشر:	مركز دراسات الوحدة العربية
الشهر:	يناير
الصفحات:	113 - 130
رقم MD:	195162
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	اللغة السواحلية ، العلاقات العربية الأفريقية، الدعوة الإسلامية، الفتوحات الإسلامية ، العصر الحديث ، الثقافة العربية ، الاستعمار ، مؤتمر القمة العربي الأفريقي ، الاستعمار ، حرب أكتوبر 1973م ، الصراع العربي الإسرائيلي ، أفريقيا ، النظم السياسية ، الإصلاح السياسي ، مؤسسات المجتمع المدني ، التعاون الاقتصادي ، التعاون الاجتماعي ، العلاقات الثقافية
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/195162

العلاقات العربية ـ الأفريقية

أحمد المبارك

مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا.

تاريخ العلاقات العربية ـ الأفريقية

العلاقات العربية ـ الأفريقية قديمة ترجع لأكثر من ألف عام. وقبل ذلك التاريخ كانت المنطقة الأفريقية رقعة أرضية واحدة تشمل أفريقيا والعرب قبل ظهور الأخدود الأفريقي العظيم الذي أصبح يفصل بين أفريقيا وشبه الجزيرة العربية، إلا أنه لم يقف حائلاً أمام التواصل، وبخاصة عبر مضيق باب المندب، وشبه جزيرة سيناء كطريق بري.

ومما يعكس عراقة وعمق الصلة بين المنطقتين شدة التشابه العرقي واللغوي والثقافي بين الشعوب الناطقة باللغات الحامية والكونية والشعوب الناطقة باللغات السامية (العرب الأمهرة والتقراي). هذا التشابه جعل بعض الباحثين يرجحون أن هاتين المجموعتين قد عاشتا في موقع واحد، وربما تنتميان في أصولهما البعيدة إلى شعب واحد. وتنتشر المجموعة الناطقة باللغات على السواحل الشرقية والشمالية لأفريقيا، وتتكون من الصومال والجالا والعفار وبعض الاريتريين والبجا والنوبيين وقدماء المصريين والبربر. ويشمل بعض هذه اللغات قدراً من الكلمات العربية، وتؤكد هذه الصلات العرقية واللغوية التي كانت درجت بين سكان جزيرة العرب وسواحل أفريقيا الشرقية أن تبادل التأثير الثقافي بين المجموعتيين ذو جذور عميقة[١].

إن ما يزيد عن ٧٥بالمئة من شعب الأمة العربية يقطن القارة الأفريقية. وتفخر هذه الكتلة البشرية بانتمائها الى أفريقيا كما تفخر بانتمائها العربي. وقد كان لها منذ انتشار الإسلام

---

(١) يوسف فضل حسن، «الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية»» ورقة قدمت إلى: **العرب وأفريقيا: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤).

فيها وشيوع مبادئه السمحة وقيمه العليا دور كبير تعدى مقتضيات الموقع الجغرافي الى صنع التاريخ وتفاعل الثقافات وترابط المصالح.

ولقد تأثرت الشعوب الأفريقية قاطبة بواجهتها الشمالية عبر التاريخ الحديث، واقتدت بها في طموحاتها الوطنية ونزعاتها الاستقلالية. وكانت حركات التحرر العربية أمثلة تحتذى للشعوب الأفريقية في دفع ضريبة الدم والعرق والدموع لتحرير هذه الشعوب من ربقة الاستعمار القديم، وتأكيد سيادتها الوطنية على أرضها ومقدراتها، فكانت الآمال والآلام، ولا تزال هنالك وشائج قربى وأواصر تعاون واتحاد مصير يربط بينهما.

كانت مواقف الدول الأفريقية في دعم نضال الشعب العربي الفلسطيني لممارسة حقوقه في وطنه وعلى أرضه مواقف مشهودة تفيض بعنفوانها وشرفها سجلات وساحات المحافل الدولية، ولاسيما هيئة الأمم المتحدة. وإذا كانت الحقوق الإنسانية والحريات الأساسية كلاً لا يتجزأ فإن اتفاق الشعوب العربية والأفريقية على إدانة النظامين العنصريين الدخيلين في جنوب أفريقيا وإسرائيل قضية مصيرية يزيد في الإيمان بها تطرف النظامين العنصريين ونزعاتهما الاستعمارية الجديدة ضد إرادة الشعوب المجاورة لهما وعلى حساب مصالحها الحيوية[٢].

الإسلام

تمثل أول دخول للإسلام في أفريقيا في الهجرة الكريمة للحبشة التي أمر بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين طلب من صحابته الهجرة بدينهم إلى هناك، وأن بها ملكاً (النجاشي) لا يظلم عنده أحد. فكانت هذه الهجرة التي تشير في دلالاتها إلى قوة الصلة بين أرض الحبشة والجزيرة العربية، وأن تواصلاً كان مستمراً بين هاتين المنطقتين، وأن غزو أبرهة لبلاد العرب عام الفيل لم يكن إلا نتيجة هذا التواصل. وقد أراد من خلال تلك الغزوة أن تكون بلاده هي قبلة الأحباش والعرب في محاولة لخلق وحدة عقائدية تؤكد التواصل الثقافي والمصالح التجارية في المنطقة.

وعندما بدأت الفتوحات الإسلامية التي كان مرماها تأمين الحضارة العربية الإسلامية وتوسيعها، لم تتجه جنوباً، بل إن جميع الحروب التي خاضها المسلمون كانت شمالاً حيث التهديد لبلاد العرب. أما الجنوب فكان التفهم الذي أبداه النجاشي للرسالة الإسلامية هو معيار التعامل بين المسلمين العرب والأفارقة، فلم يدخل الإسلام عمق أفريقيا عنوة، بل كان عن طريق التجارة والعلماء والمعايشة.

وحمل العرب والبربر مشعل الإسلام والثقافة العربية عبر أربعة طرق تجارية من شمال القارة إلى غربها ووسطها، أولها يربط ليبيا وتونس بمنطقة بحيرة تشاد، وثانيها تونس ببلاد الهوسا، وثالثها الجزائر بأواسط نهر النيجر، ورابعها المغرب الأقصى بأعالي نهر النيجر

(٢) انظر كلمة الافتتاح الأولى للأمير الحسن بن طلال في: المصدر نفسه.

ونهر السنغال[٣]، وعبر مصر وعبر البحر الأحمر الى منطقة سودان وادي النيل.

ويمكن تقسيم توغل النفوذ الإسلامي العربي الى غرب أفريقيا وأواسط بلاد السودان الى ثلاث مراحل: الأولى يغلب عليها الاحتكاك السلمي، وكان تجار العرب والبربر دعامته. والمرحلة الثانية يغلب عليها جهاد المرابطين الذين أعطوا النفوذ الإسلامي المتنامي بعداً اقتصادياً وثقافياً وسنداً سياسياً. وتجمع المرحلة الثالثة بين السلم والجهاد وترتبط بالدعوة للعقيدة الإسلامية وتعميق مفاهيمها بين المواطنين. وفي هذه المرحلة انتقلت الزعامة الدينية والقيادة السياسية والاقتصادية والريادة الثقافية الى السكان الوطنيين من السودان بعد أن تشبعوا بروح الإسلام. واقترنت المرحلة الأخيرة أيضاً بقيام عدد من الممالك الإسلامية السودانية تعاقبت على حكم المنطقة بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر، وهي مالي وصونغي وإمارات الهوسا[٤].

ثمة من يذهب إلى القول بأن المتغير الديني المرتبط بانتشار الإسلام في أفريقيا هو أكثر أشكال التأثير العربي على الإطلاق، إذ إن أعداد الأفارقة الذين اعتنقوا الإسلام أكثر بكثير من الأفارقة الذين ارتبطوا لغوياً أو عضوياً بالعرب.

عند نهاية القرن الحادي عشر كان الإسلام قد غلب على المنطقة الواقعة بين دارفور التي انتهت عندها الهجرة العربية الوافدة من وادي النيل وبحيرة تشاد وبورنو وكانم ووداي، وينتشر العرب في هذه المنطقة ويطلق عليهم لفظ «الشوا» أي الرعاة الرحل تمييزاً لهم عن «الوسلي» أي الجلابة أو التجار غير المقيمين. ومن بطون الشوا الحساونة وجهينة والسلامات وخزام وأولاد راشد والمسيرية[٥].

وأدى ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي إلى ازدياد وشائج الاتصال العربي الأفريقي، فقد أمد الإسلام العرب بسياج ديني وفكري ساعدهم على خلق وحدة حضارية وازدهار نهضة ثقافية. ومنذ البدء صار الإسلام الركيزة الأساسية للثقافة العربية الجديدة، كما أصبحت اللغة العربية لغة القرآن الكريم وعاء الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية. وتحت راية الإسلام خرج العرب صوب الشرق والغرب والشمال لإعلاء كلمة الله. وفي زمن وجيز تمكنوا من نشر نفوذ الإسلام في أجزاء كبيرة من القارة الأفريقية. وكانت الطرق التي سلكها العرب المسلمون إلى القارة الأفريقية هي الطرق نفسها التي سار عليها أجدادهم من قبل من أجل التجارة أو الهجرة. وأدى هذا التطور العظيم في حياة العرب الى حدوث نقله نوعية في

---

(٣) حسن، المصدر نفسه.

(٤) يوسف فضل حسن، **انتشار الإسلام في أفريقيا** (الخرطوم: [د. ن.]، ١٩٧٩)، ص ١٦ ـ ٢٠.

(٥) محمود خيري عيسى، مشرف، **العلاقات العربية الأفريقية: دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة** (القاهرة: جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨).

تاريخ العلائق الثقافية بين العرب والأفارقة، ففوق دعائم التعامل التجاري والهجرات البشرية قام العرب بدور إيجابي في نشر العقيدة الإسلامية وسيطرة نفوذها السياسي في أفريقيا، وساعد انتشار الإسلام على رواج كثير من مظاهر الثقافة العربية كاللغة وتمثل النسب العربي، وعليه أعطى الإسلام هذه العلائق بعداً عقدياً، وأعطتها اللغة العربية محتوى لغوياً وثقافياً[٦].

وما جاء العرب الى افريقيا كدعاة متفرغين، إلا أن نشرهم الثقافة العربية أصبح ملازماً لانتشار الإسلام الذي اعتمد في انتشاره في أفريقيا على التجار بينما اعتمدت المسيحية في أفريقيا على مؤسسة الكنيسة والمبشرين المتفرغين الذين كان يرعاهم النظام الاستعماري.

ومع ذلك فقد كانت الطرق الصوفية صاحبة القدح المعلى في نشر الإسلام في أفريقيا وملء الفراغ الروحي لدى الأفارقة والوصول إليهم عبر أحاسيسهم المرهفة. وظهرت الكثير من الطرق الصوفية، وظل أثرها أكثر وضوحاً في منطقة غرب أفريقيا وأكثرها انتشاراً الطريقة القادرية المنسوبة الى الشيخ عبد القادر الجيلاني في القرن السادس الهجري ـ الثاني عشر الميلادي) ويليها في الانتشار الطريقة التجانية المنسوبة للشيخ أبي العباسي أحمد التجاني (القرن الثاني عشر الهجري ـ الثامن عشر الميلادي). وكان لكلتا الطريقتين دور هام في نشر الإسلام في نيجيريا، وبخاصة في مرحلة ما قبل الاستعمار[٧].

وفي العصر الحديث لابد من الإشارة الى الدور الكبير الذي ظل يلعبه الأزهر الشريف، واستقباله للطلاب الأفارقة الذين درسوا القرآن الكريم والعلوم الشرعية، وأقاموا الرواقات المنظمة لوجودهم وأنشطتهم الثقافية والعلمية، والبعثات العلمية التي واظب الأزهر على إرسالها الى مختلف دول أفريقيا لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية وعلومها.

ونجد أن قيام المركز الإسلامي الأفريقي في السودان عام ١٩٧٧م والذي تحول في ما بعد الى جامعة أفريقيا العالمية ١٩٩٠م كان خياراً موفقاً لما يمثله السودان من نقطة التقاء بين الثقافات الأفريقية والثقافة العربية. وقام هذا المركز بدور كبير في تعليم الشباب الأفريقي باللغة العربية والعلوم الإسلامية. والآن تقوم المنظمات الطوعية العربية والإسلامية خاصة بدور كبير في إنشاء المدارس والمعاهد العربية والأفريقية للتعليم والتثقيف وصنع الأجيال.

إلا أن دور هذه المنظمات ظل موجهاً للمسلمين في أفريقيا غالباً، وهذا أمر لا يعيب هذا الدور، إذ أنه جهد خيرين يقدرون مسؤولياتهم تجاه إخوتهم المسلمين في أفريقيا. وكان من الأوجب أن يكون هنالك دور عربي موجه نحو كل الأفارقة مسلمين ومسيحيين حتى لا يدخل دور هذه المنظمات في إطار العنصرية والتحيز رغم الدور المشابه الذي تقوم به الكنيسة والمنظمات المسيحية.

---

(٦) حسن، «الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية».
(٧) صبحي قنصوي، «الدين والسياسة في نيجيريا».

اللغــة

لعل من أهم نتائج التواصل العربي الأفريقي لبضع قرون نشأة الثقافة السواحلية واللغة السواحلية. وقد ظهرت هذه الثقافة في نحو القرن الثامن الميلادي، وتمركزت في منطقة شرق أفريقيا وبعض جزر المحيط المجاورة. واتسعت دائرة اللغة السواحلية في العهد الاستعماري، فشملت أجزاء من وسط أفريقيا. وفي عام ١٩٦٠م اعتمدتها جمهورية تنزانيا المتحدة لغة قومية، ونشأت الثقافة السواحلية من تلاقح مؤثرات أفريقية وعربية (وفارسية) في جو إسلامي. والسواحيلي هو هجين عربي- أفريقي، ويقدر بعض الباحثين أن السواحلية لغة أفريقية تركيباً، ولكنها اقتبست كثيراً من الكلمات الأجنبية، وجل هذه الكلمات من اللغة العربية. وتقدر هذه الكلمات الأجنبية «العربية» بـ٢٠ بالمئة في لغة التخاطب، و٣٠ بالمئة من السواحيلية المكتوبة، و٥٠ بالمئة من لغة الشعر السواحيلي القديم. ولقد كتبت السواحيلية أصلاً بالحرف العربي مثل كثير من اللغات الأفريقية ذات المنبت المماثل، ولكن بعد وقوع شرق أفريقيا فريسة للهجمة الاستعمارية استبدل الحرف العربي بالحرف اللاتيني مما باعد بينها وبين جذورها العربية، كما أن بعض الكتاب الأفارقة يتعمدون تجاهل الكلمات ذات الأصول العربية ويستبدلونها بأخرى من أصل انكليزي. ويأتي هذا الصنيع في إطار محاولتهم تقليل الأثر العربي في الثقافة السواحيلية بعامة وفي لغتها بخاصة(٨).

إن الناظر في الخارطة لدول الجامعة العربية يجد فيها جزراً لغوية في محيط اللغة العربية، وحسبك أمثلة من دول الصومال والسودان والجزائر والمغرب وموريتانيا. وبعض هذه الجزر قد تكون في وسط هذه الدول أو في تخومها. والناظر يجد في بعض الدول التي تعد «افريقية» غير عربية جماعات تتمركز في مكان واحد ولغة المولد فيها هي العربية كما هو الحال في تنزانيا واثيوبيا والنيجر وغرب الشوا في ولاية برنو في نيجيريا ونيوحان الهلالين في منعطف نهر النيجر في تخوم الصحراء حول تمبكتو في مالي(٩).

ورغم الحرف اللاتيني وإحلاله محل الحرف العربي «فان كثيراً من الأفارقة الذين لم ينالوا تعليماً غربياً لا يزالون يستعملون الحرف العربي، وأعداد مثل هؤلاء كبيرة خاصة في حزام السافنا. واللغات التي تستخدم في الحرف العربي قد تأثرت بالنحو والصرف وأوزان الشعر العربي. وهذه اللغات هي أوسع اللغات انتشاراً في افريقيا بالإضافة الى العربية، وحسبك مثالاً الهوسية والسواحيلية، فالأولى تكاد تكون لغة التخاطب في جميع غرب افريقيا وعلى امتداد حزام السافنا من المحيط الأطلسي الى البحر الأحمر، والثانية هي لغة التخاطب في شرق افريقيا، ولاسيما في المناطق الساحلية(١٠).

إلا أن هذه الصورة قد تغيرت بعد الاستعمار الذي عمل جاهداً على إزالتها. وفرض

---

(٨) حسن، المصدر نفسه.

(٩) عز الدين عمر موسى، «الإسلام وأفرقيا،» ورقة قدمت إلى: **العرب وأفريقيا: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي**.

(١٠) المصدر نفسه.

الاستعمار لغته، وأصبحت هي لغة التخاطب الأولى في أفريقيا ولغة التعليم في كل دول افريقيا غير العربية. وقد حاول الاستعمار ذلك حتى مع الدول العربية في افريقيا ولكن تجذر اللغة العربية هناك وصلابتها حالا دون ذلك.

ورغم ذلك نجد أن الثقافة الأوروبية الطاغية الآن في افريقيا ليست عميقة الجذور، وإنما نتاج استعمار بدأ وانتهى في القرن الماضي، وربط مصالح الدول الافريقية بدوله. أما ثقافته فلا جذور لها. ذلك أن العلاقة الثقافية الأوروبية مع افريقيا لا يمتد عمرها الى أكثر من قرن إلا بقليل بينما العلاقة الثقافية العربية مع افريقيا تمتد لأكثر من ألف عام ذلك الى جانب أن العلاقة الثقافية العربية الافريقية ليست علاقة علمانية، ولكنها علاقة التزام عقدي وروحي، ثم لأن الآثار الباقية للثقافة العربية في الثقافة الافريقية أكثر كما وكيفاً من العلاقة بين الثقافة الأوروبية والافريقية من حيث تأثير الحرف العربي في أكثر من ثلاثين لغة عربية افريقية كتبت بذلك الحرف لأول مرة، وضمت في تراثها الإنتاج الثقافي الافريقي المكتوب.

كذلك فإن المؤلفات التي كتبت باللغة العربية أو باللغات الافريقية بالحرف العربي هي جميع تراث افريقيا الفكري، وهي آلاف المخطوطات المبعثرة في مكتبات العالم في انتظار فهرستها وجمعها ونشرها. والى جانب هذا كله فإن الإضافة الحقيقية التي قدمها العلماء الأفارقة في الجامعات الافريقية الإسلامية التاريخية قد تمثلت في الأدب العربي وفي التاريخ وفي العلوم الدينية وفي العلوم الطبيعية عبر التاريخ. تضاف الى هذا كله حقيقة أخرى هي أن الوجود العربي هو وجود أصيل ومؤثر في الوطن العربي يمتد في افريقيا امتداداً طويلاً أرضاً وبشراً وثقافة، والعربية هي أكبر اللغات الافريقية جميعاً، بل إنها أكبر من أي لغة أوروبية فيها منفردة. وهي لذلك تعتبر اللغة الافريقية الحية والعالمية، وتكاد تكون هي الوحيدة المستعملة رسمياً في المنظمات الافريقية الى جانب اللغتين الفرنسية والانكليزية(١١).

ويرى الباحث الافريقي علي المزروعي أن الاحتكاك العربي بافريقيا قد أدى الى حدوث عمليتين أساسيتين وإن كانتا غير متلازمتين: **أولاهما** التعريب (من خلال اللغة العربية)، **وثانيتهما** الأسلمة (من خلال الإسلام). وثمة من يذهب الى القول بأن المتغير الديني المرتبط بانتشار الإسلام في افريقيا هو أكثر أشكال التأثير العربي على الإطلاق، إذ لا يخفى أن أعداد الأفارقة الذين اعتنقوا الإسلام أكثر بكثير من الأفارقة الذين ارتبطوا لغوياً او عضوياً بالعرب. كما أن الإسلام ليس مجرد دين، وإنما هو هوية حضارية ومكون أساسي من مكونات القومية. ومع ذلك فإن اللغة العربية مارست تأثيراً ثقافياً واسعاً في الميراث التاريخي والحضاري الافريقي عبر مناخات أربعة هي:

١ ـ تأثير اللغة العربية في اللغات الافروأسيوية الأخرى السائدة في افريقيا مثل الصومالية والهوساية.

---

(١١) محيي الدين صابر، «العلاقات الثقافية بين أفريقيا والعرب،» ورقة قدمت إلى: المصدر نفسه.

٢ ـ إسهام اللغة العربية بشكل مباشر في ظهور لغات افريقية جديدة مثل السواحيلي في شرق افريقيا والتي تعد نتاجاً للتفاعل والتمازج بين العربية والتركيبات اللغوية الافريقية .

٣ ـ التأثير المباشر في اللغات الافريقية الأخرى، وذلك من خلال لغات وسيطة مثل السواحيلي والهوسا .

٤ ـ الدور الذي قامت به اللغة العربية باعتبارها أداة اتصال، حيث يقبل عدد كبير من الأفارقة على تعلم العربية، فهي أكثر اللغات انتشاراً في افريقيا، إذ يتحدث بها نحو خمس سكان القارة.

الاستعمار

عمل الاستعمار في الدول الافريقية بعد نهب ثروات القارة واستغلال المال والرجال وتصديرهم كسلع تباع وتشترى في أوروبا على توريث الفقر والجهل والمرض وزرع الفتن وازكاء الصراعات الإثنية، كما عمد الى تحطيم الهوية الافريقية وطمسها واستهداف الإسلام وآثاره في القارة، وملاحقة كل ما هو عربي وإزالته. فعمل على القضاء على رموز الثقافة الافريقية، وتعطيل كتابة اللغات الافريقية التي كانت تكتب بالحرف العربي، واستبدال ذلك بالحروف اللاتينية. وقد نفذ ذلك على مراحل، فطبعت لأول مرة في الثلاثينيات من القرن الماضي كتب بالحروف اللاتينية بكل من لغتي الهوسا والسواحيلية، وهما أكبر اللغات الافريقية في غرب افريقية وشرقها. وقد تم تكريس هذا الاتجاه عالمياً تحت إشراف اليونيسكو في أواسط الستينيات في مؤتمر عقد في داكار حيث اعتمدت كتابة اللغات الافريقية جميعاً بالحرف اللاتيني، ووضعت القواعد الثابتة لذلك. وكان ذلك حدثاً تاريخياً خطيراً غاب عنه العرب، وهي خطوة حاسمة تم بها فصل الافريقيين عن تراثهم المكتوب، وعزل الأجيال الافريقية ثقافياً عن ماضيها، وكأنهم يبدأون الحياة الثقافية بعد استعمار أوروبا لأفريقيا[١٢].

ورمى كثير من الدراسات الغربية الى تشويه صورة المجتمع الافريقي وعزل العرب عن افريقيا. وركزت هذه الدراسات تركيزاً شديداً على توتر العلاقات بين قبائل افريقيا وشعوبها وتصادم مصالحها وتنافر أهدافها. وأغفلت نواحي التعاون بين هذه القبائل والشعوب. ونجد الدراسات أكثر ما تركز على التصادم والتنافر عندما يتعلق الأمر بالإسلام والعرب. فمن جهة فإن العرب والمسلمين هم الذين «مدنوا الأفارقة وثقفوهم» وعلموهم تأسيس الدول، ومن جهة أخرى فإن العرب والمسلمين خربوا عمران افريقيا ودولها مستشهدين باجتياح المرابطين لدولة غانا، والسعديين لدولة سنغي، كما أنهم استعبدوا سكان افريقيا كتجار رقيق. ولا ريب أن مثل هؤلاء الدارسين يتناسون أن الرق قضية اجتماعية لا يمكن أن ينظر إليها إلا ضمن إطارها التاريخي دون تبرير. وإلا فكيف يفسر هؤلاء الدارسون أنفسهم أن الأوروبي عمل في تجارة الرقيق الافريقي أكثر من غيره، وذلك عبر المحيط الأطلسي الى الدنيا

---

(١٢) المصدر نفسه.

الجديدة. وحتى عندما أبطل الأوروبي الرق الفردي فقد استبدله بالرق الجماعي في شكل الاستعمار القديم والجديد[١٣].

وعلى المستوى السياسي عمل الاستعمار القديم والحديث على تقسيم القارة الافريقية بواسطة الصحراء فشمالها عربي، وجنوبها افريقي، فقد عملت الدول الغربية الاستعمارية القديمة والجديدة من ناحيتها دائماً على فكرة الفصل بين «افريقيا العربية» ذات اللون الأبيض التي يسودها الإسلام و «افريقيا السوداء» التي تسودها المسيحية واعتبار الصحراء الحد الفاصل العازل بينهما، ثم ذهبت الى حد تقسيم افريقيا السوداء الى مجموعتين متمايزتين أيضاً بحكم اللغة هما افريقيا الفرانكوفونية وافريقيا الانكلوفونية. وقد ظهر ذلك جلياً في التقسيمات الاقليمية وخطوط المواصلات التي أقامتها هذه الدول لتربط مستعمراتها كما ظهرت في مناهج التعليم والمؤلفات الغربية عن افريقيا[١٤].

العرب وحركات التحرر في افريقيا

في الخمسينيات من القرن الماضي ظهرت ثورات التحرر والاستقلال الوطني وتصفية الاستعمار في آسيا وافريقيا بعامة، واتخذت السياسة العربية على المستوى القومي موقف التأييد والمساندة لحق هذه الشعوب. وتأكد هذا الموقف بعد ثورة ٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢م في مصر[١٥].

فقد تبنت مصر منذ قيام ثورة ٥٢ قضايا التحرر وتصفية الاستعمار وتقرير المصير في الأمم المتحدة، واعتبرت نفسها داعمة ومساندة ومسؤولة عن قضايا تصفية الاستعمار في افريقيا. وحتى استقلال غانا عام ١٩٥٧م لم تكن هناك دولة افريقية غير عربية مستقلة سوى اثيوبيا وليبيريا.

وقد استطاع عبد الناصر أن يكون جبهة عالمية قوية للدفاع عن قضايا التحرر في افريقيا من خلال حركته الواسعة مع دول المعسكر الاشتراكي في العالم الثالث بدءاً بمؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥م الى حركة عدم الانحياز التي كان من أهم معايير الانضمام إليها تأييد حركات التحرر[١٦].

العلاقات العربية الأفريقية في فترة ما بعد الاستقلال

نمت وتطورت العلاقات العربية الافريقية في الخمسينيات وبعد حصول الدول العربية على استقلالها، وشهدت هذه المرحلة درجة عالية من التنسيق والتضامن في العديد من

---

(١٣) موسى، «الإسلام وأفريقيا».
(١٤) انظر في تفصيل ذلك: بطرس بطرس غالي، **العلاقات الدولية في إطار منظمة الوحدة الأفريقية** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٤)، ومجدي حماد، «العلاقات العربية الأفريقية في المنظور الغربي والسوفياتي،» ورقة قدمت إلى: المصدر نفسه.
(١٥) انظر مقدمة عبد الملك عودة في: المصدر نفسه.
(١٦) محمد محمد فايق، «ثورة ٢٣ يوليو وأفريقيا،» ورقة قدمت إلى: المصدر نفسه.

القضايا من أهمها مكافحة الاستعمار والتخلص من الاحتلال، والدعم السياسي والاقتصادي والعسكري الذي قدمته الدول العربية لحركات الاستقلال في افريقيا، وبخاصة مصر والجزائر والسودان.

كما شمل هذا التنسيق والتضامن دعم القضايا العربية والافريقية في أروقة الأمم المتحدة وحركة عدم الانحياز، فقد كافحت الدول العربية والافريقية معاً ضد الاستعمار الاستيطاني في جنوب افريقيا وروديسيا وفلسطين. وتجلت مساعدة الدول العربية للدول الافريقية في الموقف الإيجابي لوفود دولها لدى الأمم المتحدة من قضايا تحرير البلاد المستعمرة، وقضية مناهضة الدول العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا، وما أدى إليه هذا الموقف من إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ١٥١٤ في أيلول/سبتمبر ١٩٦٠م والخاص بمنح الاستقلال للبلاد والشعوب المستعمرة.

في الخمسينيات ظهرت ثورات التحرر والاستقلال الوطني، وقد استطاع عبد الناصر أن يكوّن جبهة عالمية قوية للدفاع عن قضايا التحرر في أفريقيا بدءاً بمؤتمر باندونغ وانتهاء بحركة عدم الانحياز.

وفي حرب تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣م أعربت حكومات الدول الافريقية المستقلة ومنظمة الوحدة الافريقية عن تضامنها مع الشعوب العربية، وقد ترجم ذلك في شكل اجراءات قطع جماعي للعلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل. وبانتهاء حرب اكتوبر بلغ عدد الدول الافريقية التي قطعت علاقاتها مع إسرائيل ٢٩ دولة، ولم يتبق من الدول الافريقية الأعضاء في المنظمة سوى أربع دول لها علاقات مع إسرائيل هي ملاوي وموريشيوس وليسوتو وسوازيلاند.

وشهدت الفترة التالية لحرب أكتوبر مباشرة مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات العربية الافريقية كان من أبرز سماتها الاتصالات والمشاورات بين الأمانة العامة لكل من جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية. وبادر الجانب الافريقي بإصدار المجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الافريقية قراراً خاصاً بالتعاون العربي الافريقي نص على إنشاء لجنة سباعية لإجراء اتصالات مع الدول العربية عن طريق الجامعة العربية لدراسة آثار حظر البترول على الدول الافريقية، وأوصى المجلس بإقامة تعاون اقتصادي عربي افريقي، وشكلت لجنة خاصة بهذا الموضوع عقدت أول اجتماع لها في أديس أبابا عام ١٩٧٣م.

كما قامت الدول الافريقية في تلك الفترة بتأييد النضال العربي، وطالبت بانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة، كما ربطت الدول الافريقية بين حركة التحرر الفلسطينية وحركات التحرر الافريقية، واعتبرت قضية فلسطين قضية عربية افريقية.

وأصدر مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية في شباط/فبراير ١٩٧٥م إعلان أديس أبابا الذي أكد فيه أن جوهر مشكلة الشرق الأوسط هو قضية فلسطين، وأوصى بضرورة

إجراء مشاورات مشتركة بين جامعة الدول العربية ولجنة التنسيق لتحرير افريقيا بهدف وضع استراتيجية لتحرير فلسطين على غرار استراتيجية أكرا ودار السلام لتحرير القارة الافريقية. وبالإضافة الى ذلك ساندت الدول الافريقية الحقوق العربية في إطار قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، فساندت قرار ٢٤٢واشتركت في تدعيم القرار الآسيوي الذي يقضي بأن استمرار الموقف الخطير والمتدهور في الشرق الأوسط يشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين، كما ساندت بعض الدول الافريقية قرار اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية.

ومن جانبها فقد أدانت الدول العربية عبر عملها في إطار الجامعة العربية الأنظمة العنصرية في افريقيا، فأصدر مجلس الجامعة قراراً في نيسان/ابريل ١٩٧٥م أكد فيه تعاون الدول العربية والافريقية من أجل تحرير الأراضي الافريقية من الاستعمار الاستيطاني والتفرقة العنصرية. وأعلن المجلس قراره بأن قضايا التحرير في القارة الافريقية قضايا عربية افريقية. كما تقدم العرب خطوات جادة في مجال التعاون مع الدول الافريقية فقدموا المنح والقروض والاستثمارات وأنشئوا الصناديق المالية وأرسلوا الخبراء الى افريقيا.

وأشاد مؤتمر القمة العربية في الجزائر ١٩٧٣م بموقف الدول الافريقية، واتخذ مجموعة من القرارات والتوصيات في المجالين السياسي والاقتصادي لتدعيم وتنمية التعاون العربي الافريقي فضلاً عن تكليف الأمانة العامة لجامعة الدول العربية اتخاذ الاجراءات التنفيذية والاتصال بأمانة منظمة الوحدة الافريقية. وفي الفترة التي تلت عقد هذا المؤتمر انشئت المؤسسات المالية لدعم التعاون العربي الافريقي وهي: الصندوق العربي للمعونة الفنية للبلدان العربية الافريقية، والصندوق العربي للقروض في افريقيا، والمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا.

مؤتمر القمة العربي الأفريقي الأول ١٩٧٧م

مهدت الخطوات الإيجابية السابقة لانعقاد القمة العربي الافريقي الأول في آذار/مارس ١٩٧٧م في القاهرة. وصدرت عن المؤتمر أربع وثائق أساسية تغطي الأسس التاريخية والحضارية والأيدلوجية لمجموعة العلاقات العربية الافريقية المتنامية، كما تحدد مجالات التعاون وأدواته ومؤسساته المسؤولة عن تنمية هذه العلاقات، وهذه الوثائق هي:

ـ **الإعلان السياسي**: وحدد الأساس القانوني والسياسي للتعاون العربي الافريقي والمبادئ التي يستند إليها هذا التعاون فضلاً عن الأهداف التي يسعى الى تحقيقها وهي: الدفاع عن قضايا التحرير الوطني العربي والافريقي، وتدعيم التعاون الاقتصادي، وتحقيق المزيد من التفاهم بين الشعوب العربية والافريقية.

ـ **إعلان برنامج عمل التعاون العربي الافريقي**: وأهم ما جاء فيه تعهد البلدان العربية والافريقية بتقوية علاقاتها على المستوى الثنائي والمتعدد الأطراف في الميادين المختلفة وإنشاء لجنة وزارية مشتركة دائمة لمتابعة التعاون بين الطرفين وإعلان التعاون الاقتصادي والمالي العربي الافريقي المشترك ووضع خطة للتعاون الاقتصادي والمالي تتضمن عدة

بنود أهمها: تشجيع التعاون الفني بين الدول العربية والافريقية، وزيادة المساعدات المالية الثنائية، وتشجيع توظيف رؤوس الأموال العربية في الدول الافريقية وغيرها، وتنظيم طريقة العمل لتحقيق التعاون العربي الافريقي، وتضمنت الوثيقة الأجهزة والمؤسسات المسؤولة عن وضع إعلان وبرنامج العمل للتعاون العربي الافريقي موضع التنفيذ وهي: مؤتمر القمة ومجلس الوزراء المشتركان، واللجنة الدائمة، ومجموعات العمل واللجان المتخصصة، ولجنة التنسيق، والمحكمة الافريقية العربية او لجنة التوثيق والتحكيم .

وبذلك التقت الإرادة العربية والافريقية لتحقيق التطلعات والطموحات المشتركة في كافة مجالات التعاون. لكن هذه الإرادة سرعان ما تراجعت في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات لتشهد تجربة التعاون العربي الافريقي أزمة غيرت طبيعة العلاقات.

أزمة العلاقات العربية ـ الافريقية

١ ـ على المستوى الرسمي

إن الوضع العربي المتدهور هو المسؤول المباشر عن تردي العلاقات العربية الافريقية والانقسام العربي الذي حدث بعد اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٩م، وقد ألقى بظلاله السالبة على تلك العلاقات بمصر التي كانت الدولة الرائدة في مجال العمل القومي العربي والعلاقات العربية الافريقية، ثم وجدت نفسها معزولة عن ثقلها العربي، بل تم العمل على إبعادها عن طريق الدول العربية من المؤسسات والأجهزة الافريقية الأخرى.

وبذلك غابت روح التعاون العربي المشترك، وانفرط عقد العمل العربي المشترك، وتم تصدير هذه الأزمات الى خارج الوطن العربي، مما أدى الى اتهام الأفارقة للعرب بمحاولة تصدير خلافاتهم الى الاجتماعات العربية الافريقية بل الى اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية، وقد طلبت المنظمة في اجتماعاتها وقراراتها المعلنة عدم إدراج الخلافات السياسية العربية في شؤون القارة الافريقية. ومن أمثلة ذلك قرار المنظمة عام ١٩٧٨م الذي يطلب عدم التدخل العربي في النزاع بالقرن الافريقي[١٧].

وبظهور النظام العالمي والأحادية القطبية اتسع دور الدول الأوروبية المانحة والأمريكية في ميدان المساعدات والقروض والمنح ودور البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وانعكس هذا الدور سلباً في ذلك فزهد الأفارقة في العون العربي، وطمعوا في العون الغربي مما دعا الى اتجاههم شمالاً.

٢ ـ على المستوى الشعبي

لا توجد أزمة حقيقية على مستوى العلاقة الشعبية، وإن وجدت مخلفات للاستعمار الذي عمل على تشويه صورة العربي في العقلية الافريقية فهو الغازي والسالب والإرهابي مما ترك

(١٧) انظر قرارات منظمة الوحدة الافريقية.

أثره في ذهنية الافريقي. ويذكر الدكتور ابراهيم نصر الدين رئيس الجمعية الافريقية للعلوم السياسية في جنوب افريقيا «أن هناك ملاحظات تشكل حجر الزاوية في أي سعي لتطوير التعاون العربي الافريقي وتشمل هذه الملاحظات أن صورة الافريقي لدى العربي سلبية والعكس صحيح وقد تنطوي صورة العربي على نظره استعلائية من الافريقي، مقابل صورة الافريقي عن العربي على أنه تاجر رقيق وبشع وانتهازي ولديه نزعة توسعية في افريقيا، وهو ما يعزز أحياناً رغبة افريقية (استبعادية) تهدف الى استبعاد العرب من افريقيا تارة أو عدم الاعتراف بهويتهم العربية والإسلامية على قدم المساواة مع الفرنكفونية والانكلوفونية تارة أخرى أو تجاهل وجودهم في افريقيا كلية او العمل على تذويب هويتهم في إطار الهوية الافريقية. ويذكر أن هذه الصورة السلبية ما زالت راسخة على الرغم من وجود التراث العربي الافريقي المشترك ونضال الطرفين ضد الاستعمار وضغوط العولمة نحو طمس الهويات الحضارية العربية الافريقية».

أما السيد تشبت مايكوث رئيس اتحاد المزارعين في اوغندا فيقول إن صورة العرب والشعب العربي تعرضت للتشويه حيث إن هناك شعوراً خاطئاً بأن العربي لا يساعد إخوانه في افريقيا بشكل كاف بما لديه من أموال من عائدات البترول، وأنه لا يفتح حدود بلاده للعمل والتعليم والتجارة، وأن التفاعل محدود بين الجانبين. ومن هنا يقترح إيجاد آلية لدعم علاقات الأغنياء (العرب) بالفقراء (الأفارقة) وعمل مشروعات صحية وتعليمية وتقديم مساعدة فنية لرفع مستوى الأفارقة وتنظيم معرض ثقافي لإنهاء المفاهيم الخاطئة تمهيداً لعلاقات أفضل.

وعليه فقد بذلت إسرائيل جهدها لخلق علاقات مع الدول الافريقية غير العربية ونجحت بحلول عام ١٩٦٦م في إيجاد تمثيل دبلوماسي لها في كافة الدول الافريقية جنوب الصحراء باستثناء كل من الصومال وموريتانيا.

ورغم ذلك أعلنت الدول الافريقية عام ١٩٧٤م مقاطعتها إسرائيل عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣م وذلك تأييداً للموقف المصري بحسبان أن مصر دولة افريقية تعمل على استعادة أراضيها من الاحتلال، وكذلك للموقف العربي الذي كان مسانداً للدول الافريقية فيها. وتقلص التمثيل الدبلوماسي الإسرائيلي في افريقيا من ٢٥ دولة الى خمس دول فقط هي جنوب افريقيا وليسوتو وملاوي وسوازلاند وموريشوس. ورغم هذا لم تعد العلاقات الرسمية الافريقية الإسرائيلية إلا في عام ١٩٨٢م حيث أعلنت زائير استئناف علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل، وذلك لحاجتها للمساعدات العسكرية والفنية لمواجهة أزمة اقليم شابا.

ولكن بعد انفراط العقد العربي بعقد اتفاقية كامب ديفيد المصرية الإسرائيلية لم تعد الدول الافريقية مساندة للموقف العربي المتداعي وعادت العلاقات تباعاً، وقد أعلنت افريقيا الوسطى وكينيا واثيوبيا عودة علاقاتها مع إسرائيل ساعة وصول الانتفاضة الفلسطينية في الضفة وقطاع غزة ذروتها.

ومنذ بداية التسعينيات وانتهاء الحرب الباردة وظهور النظام الدولي الجديد وسقوط المعسكر الشرقي وبدء مسيرة التفاوض الفلسطيني الإسرائيلي في مدريد تسارعت عودة

العلاقات الإسرائيلية الافريقية وفي عام ١٩٩٢م قامت ثماني دول افريقية بإعادة تطبيع علاقاتها مع إسرائيل، وبلغ عدد الدول الافريقية التي لها علاقاتها مع إسرائيل حتى عام ١٩٩٧م ٤٨ دولة.

الصراع العربي الإسرائيلي وافريقيا

تدرك إسرائيل أنّ افريقيا إحدى ساحات الصراع العربي الإسرائيلي وقد عملت من هذا المنطلق على التغلل في افريقيا وخلق علاقات مع دولها في مختلف المراحل، وذلك لما تمثله افريقيا من عمق استراتيجي وأمني وثقافي وحضاري للوطن العربي. وعملت جادة بالتعاون مع دول الاستعمار القديم والحديث على الإحاطة بالوطن العربي وتطويقه وعزله افريقياً.

ورغم وجود جاليات يهودية في افريقيا (شمال افريقيا ـ اثيوبيا ـ جنوب افريقيا) إلا أن العلاقات الافريقية لم تكن أولوية إسرائيلية، وذلك لعدم فاعلية هذه الجاليات عدا جالية جنوب افريقيا وهي من أكبر الجاليات اليهودية في العالم. كما أن إدانة مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥م احتلال إسرائيل للأراضي العربية عجل باهتمام إسرائيل بهذه القارة، حين افتتحت أول سفارة لها في غانا عام ١٩٥٧م بعد أقل من شهر من حصول غانا على الاستقلال.

وثمة مجموعة من المتغيرات الدولية والاقليمية أسهمت في تكثيف الهجمة الإسرائيلية على افريقيا منها:

١. حصول عدد من الدول الافريقية على استقلالها في الستينيات أدى الى زيادة المقدرة التصويتية لافريقيا في الأمم المتحدة حيث كان الصراع العربي الإسرائيلي من أبرز القضايا التي تطرح للتصويت.

٢. إنشاء منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٣م وضع تحدياً أمام إسرائيل حيث إنها لا تتمتع بالعضوية في هذا التجمع الافريقي.

٣. عضوية بعض الدول العربية المزدوجة في كل من جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية أعطتها فرصة إقامة تحالفات مع بعض القادة الأفارقة الراديكاليين من أمثال نكروما وسيكوتوري.

وتعتبر إسرائيل علاقاتها حيوية مع الدول الافريقية، ولن تفرط فيها وتعمل على تقويتها بتقديم المساعدات الفنية والعسكرية والتدريب. وتشير الإحصاءات التي نشرها مركز التعاون الدولي التابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية الى أن عدد الأفارقة الذين تلقوا تدريبهم في إسرائيل عام ١٩٩٧م كان ٧٤٢ متدرباً اضافة الى نحو ٢٤,٦٣٦ تلقوا تدريبهم من قبل مراكز التدريب الإسرائيلية خلال الأربعين سنة الماضية. وشمل التدريب برامج نقل المهارات والتقنية والزراعة بالإضافة الى الخبراء الذين تزود بهم إسرائيل الدول الافريقية.

وترمي إسرائيل من التغلغل في افريقيا الى محاصرة الدول العربية وتأمين البحر الأحمر

لصالحها وكذلك السيطرة على منابع النيل، وبهذا نفهم اهتمامها بدعم حركات التمرد في جنوب السودان واهتمامها بالقرن الافريقي.

نحو مستقبل العلاقات العربية الافريقية

العلاقات العربية الافريقية علاقات تاريخية وتسعى الى وحدة اقليمية تتم بوسائل الجوار والدفاع والثقافة والمصلحة، والى خطة حسنى من التراضي والتعايش، بل التعاون الموجب بين الشعوب في حراك اجتماعي بين العالمين تتجاوز الأطر الفطرية الى المجتمع العربي الافريقي الذي تتشابه وتتعدد فيه السمات الثقافية والحضارية بين الشعوب.

إنّ مرتكزات حركة المجتمعات العربية الافريقية تظل هي أساس كل طرح، والنجاح الحقيقي في إنشاء علاقات عربية افريقية يتمثل في تزويد المجتمعات بما تحتاج اليه من تواصل وانسجام ومصالح مشتركة بخلق آليات في ظل المتغيرات الدولية تساهم في الترابط بين أعضاء المجتمع العربي الافريقي، عن طريق الهدم الممرحل لذلك التقسيم الذي أوقعت فيه دول الاستكبار والهيمنة الشعوب العربية الافريقية.

والاعتراف بالخصائص الثقافية والسمات الحضارية للمجتمعات العربية والأفريقية هو المدخل لإنشاء علاقات عميقة الجذور وتقبل الآخر والتعايش معه في كل المنابر والمحافل الدولية والاقليمية والشعبية خدمة للشعوب، وأن تنطلق المجتمعات نحو آفاق التعاون والتواصل في خلق وحدة حقيقية. ولإحداث ذلك يجب أن يتم التالي:

١ ـ إصلاح النظم السياسية الأفريقية والعربية

واجهت النظم السياسية الأفريقية مجموعة من الإشكاليات التي أثرت في تأسيسها واستقرارها وإنجاز مهمة بناء الدولة القومية، حيث تنصهر العرقيات والاثنيات وتتفاعل مختلف الجماعات في الدولة بهدف المشاركة في صياغة وتنفيذ برامج التنمية في محيطها الداخلي وانتشار علاقات على المستوى الإقليمي أو القاري.

إن أزمة النظم السياسية العربية تتمثل في غياب مفهوم الشورى والديمقراطية والتداول السلمي للسلطة حيث كثير من الأنظمة تتوارث الملك والعرش وحتى طلائع التغيير الثوري تأخذ السلطة بالقوة وتحافظ عليها بالبندقية، وإقصاء الآخر ولا تعترف به. وانتهجت الدولة الأفريقية العربية صيغة الحزب الواحد باعتباره إطاراً سياسياً موحداً يؤدي وظيفة محددة في عملية بناء الدولة، و النظام السياسي الأفريقي اعتمد على صيغة الحزب الواحد بشمولية قابضة تنطلق من المؤسسات العسكرية في الدول الأفريقية.

ثمة مجموعة في الدول الأفريقية لا تؤمن بالأحزاب السياسية ترفض هذه الظاهرة في التطور السياسي. وبعبارة أخرى فإن النظم السياسية في هذه الدول هي معادية للأحزاب (Anti-party States). وترفض الظاهرة الحزبية باعتبارها لا تلائم السياق المجتمعي لديها.

يشتمل هذا النمط كذلك على النظم التي يسيطر عليها العسكريون في أعقاب قيامهم

بانقلاب عسكري، وإعلانهم عن حل كافة الأحزاب، والتنظيمات السياسية القائمة وفرض حظر على إنشاء تنظيمات جديدة وهذه حالة معهودة في الخبرة الأفريقية المعاصرة[١٨].

إن طبيعة المجتمعات العربية الأفريقية هي مجتمعات عشائرية أبوية وقبلية، لذا نجد القيادات العربية الأفريقية على سدة الحكم لزمان طويل. يعتبر أساس الولاء في هذا النمط على قدسية التقاليد، فالحاكم في الدول العربية سواء كان فرداً أو جماعة عادة ما يصل إلى السلطة بالوراثة، وتدين له الجماهير بالولاء المطلق الذي تكرسه الأنماط الثقافية التقليدية الراسخة في أذهانهم، أما في الدول الأفريقية فنجد القيادات العسكرية تصعد للحكم معتمدة على المتغير الشخصي، إلى الطموحات من جانب الأفراد، وقد يهدف البعض إلى خدمة الصالح العام.

يستند أساس السلطة على هذا النمط الى الزعامة الملهمة التي يعتقد الناس أنها تمتلك صفات غير عادية أو حتى خارقة. فالكاريزما لا تعني في استخدام ماكس فيبر صفة حقيقية يمتلكها الحاكم، وإنما تصف واقع العلاقة بين الحاكم و المحكوم، ويظهر هذا النمط من السلطة الأزمات أو التحولات السريعة التي تشهدها المجتمعات[١٩].

إن إصلاح الحياة السياسية في البلدان العربية الأفريقية يتم عن طريق التداول السلمي للسلطة، ونشر ثقافة الديمقراطية والسلم بين الجماهير لتكريس الوعي السياسي الذي يساهم في الحراك السياسي أو التحولات السياسية بين الأحزاب والجماعات أو الأفراد من توحد وزيادة الوعي.

قد يجدر بنا في عالم السياسة وحركتها الدرامية المثيرة أن نتحدث بمزيد من بيان العلاقات العربية الأفريقية، علينا أن تحملنا الأصولية إلى منهجية التعبير السياسي، وتعصمنا الأصولية بوحدة المقولات والمواقف بعيداً عن الصراعات والتناقضات، وان تستلهم الاستقامة في الحكم والوضوح مع الرأي العام، فبالسياسة تستطيع القوى العربية الأفريقية أن تتعايش بالحسنى وتتحاكم بالديمقراطية ـ ة سنة الأنبياء الذين دعوا قومهم بدون إكراه أو إرهاب.

وأن تكون الديمقراطية عقيدة مطلقة القيمة في الذات والغير، لا حيلة ترعى ما وافت غرض الذات، ولا تطفيفاً يكيل بمعيار مزدوج.

٢ ـ تفعيل دور منظمات المجتمع المدني

شهدت نهاية القرن جهوداً بحثية كثيرة حاولت معالجة القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمعات العالم الثالث من خلال الدولة، باعتبارها المؤسسة الوحيدة القادرة

---

(١٨) حمدي عبد الرحمن، «قضايا في النظم السياسية والأفريقية»، **دراسات افريقية** (١٩٩٨)، ص ١٢٩.

(١٩) المصدر نفسه، ص ١٤٧.

على تحقيق التنمية الاقتصادية الاجتماعية، وإعمار العلاقات الخارجية في ظل غياب مؤسسات القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني.

اعتبر كثيرون من الباحثين الدولة العامل الرئيسي في قضية التحول الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والحضاري للمجتمع، لكن بمرور الزمن وتراكم التجارب اضمحلت هذه الدولة في نظر الكثيرين أمام مسيرة المجتمعات العربية والأفريقية في التفاعل والاندماج، وأن الدولة في العالم الثالث ما هي إلا تجسيد لمصالح قوى اجتماعية بعينها، وأنها عاجزة عن ملء الفراغ السياسي بتنظيماتها، الأمر الذي يؤدي للانسحاب من الدولة في شكل هجرات كبرى للخارج.

ترمي إسرائيل من التغلغل في أفريقيا إلى محاصرة الدول العربية وتأمين البحر الأحمر لصالحها والسيطرة على منابع النيل.. ولا بد من التعاون بين الدول العربية وأفريقيا للتخلص من الواقع الاقتصادي والاجتماعي المتخلف لبناء مرتكزات التنمية الشاملة.

ونتيجة لذلك فقد اتجه البحث إلى فعاليات المجتمع التي تبحث عن استراتيجيات خاصة لتتخطى بها أزمة الدولة وأزمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية وأزمة العلاقات الخارجية بين الشعوب حتى على مستوى اللقاءات العربية الأفريقية.

نتيجة لهذه التطورات تحول البحث إلى دور المنظمات غير الحكومية والى المجتمع المدني ومنظماته وانعكاس هذه الأوضاع على العلاقات بين الشعوب الأفريقية العربية.

ويمكن تعريف المجتمع المدني بأنّه منظومة من النظم التعليمية الدينية والثقافية وغيرها، وأن التفاعل بين العلاقات العربية الأفريقية يأخذ أبعاد كل منظمات المجتمع المدني عبر اللقاءات الفكرية التي تنادى إليها لفيف من المثقفين وقادة الرأي والفكر لبحث جذور العلاقات ومستقبل وآفاق العلاقات بين الشعوب عبر منابر الحوار والتفاعل بين مختلف التيارات السياسية والثقافية، وقضايا المرأة والدفاع عن الهويات والثقافات الموجودة في المجتمعات العربية الأفريقية.

ويعتبر وجود المجتمع المدني ضرورياً لتأسيس القاعدة التي تنطلق منها العلاقات بين الشعوب، وليس المقصود بوجود المجتمع المدني مجرد ظهور مجموعات أو طاقم من المنظمات، وإنما المقصود بالتحديد أن يتاح للمنظمات المستقلة المشكلة بواسطة القوى التاريخية والحديثة أن تلعب دورها وهي خارج سلطة الدولة.

٣ ـ تنشيط التعاون الاقتصادي والاجتماعي

إن القاسم المشترك الأكبر بين الدول الأفريقية والعربية هو سيادة الواقع الاقتصادي والاجتماعي المتخلف، ولذلك من الطبيعي أن تتعاون هذه الدول في ما بينها في سبيل التخلص من هذا التخلف لبناء مرتكزات التنمية الشاملة.

إن قضية مكافحة التخلف تتم على مستويات شتى: على المستوى القاري والمستوى الإقليمي والمستوى الثنائي. على المستوى القاري تقوم اللجان الاقتصادية بين المجموعات الأفريقية سواء في شرق أفريقيا أو غرب أفريقيا أو شمال أفريقيا بتوثيق العلاقات الاقتصادية الاجتماعية بين مجموعات عدة، والاستفادة من اللجنة الاقتصادية لأفريقيا التابعة للأمم المتحدة.

أما عن المستوى الإقليمي في النطاق العربي الافريقي فيمكن إنشاء آليات اقتصادية لتسهم في تنمية الشعوب العربية والافريقية وتبادل المصالح وإنشاء منظمات اقتصادية وبيوت أموال لتساهم في البنى التحتية لمعظم دول المنطقة العربية والأفريقية، بجهود ومبادرات من بيوت المال العربي لتنشيط العلاقات الاقتصادية الدولية وخلق نوع من الانتماء العربي الأفريقي المشترك.

إن الخبراء العرب في شؤون السياسة الدولية يجب أن يعرضوا جانباً كبيراً من الاهتمام بالعلاقات الدولية الأفريقية. وتنشيط هذه العلاقات عبر مداخل الاقتصاد لتنمية ومحاربة التخلف وإلغاء الديون والاستفادة من التجمعات العربية مثل مجلس التعاون الخليجي وصناديق التمويل العربية.

إن تخلف أفريقيا ليس في الأوضاع المالية والاقتصادية والاجتماعية والإنسانية فحسب، بل أحياناً يظهر نقص في الكفاءات التي تستطيع أن تقود حركة التنمية وتدفع عجلتها للأمام. وهي تستعين في حاجتها بالخبراء الأجانب من الدول الأوروبية والأمريكية الذين زحفوا نحو أفريقيا ليقدموا خبراتهم ومشورتهم، ولا بد أن يكون الإحلال بالخبراء العرب.

ولا بد لكل الدول الافريقية التي تريد أن تأخذ طريق التقدم أن تنتهج خطة حاسمة نحو التنمية. ففي الميدان الزراعي تلجأ إلى أسلوب المزارع الجماعية، وتستعين بمهندسين زراعيين، وتلجأ الى الجمعيات التعاونية لتسويق هذه المنتجات الزراعية، وتحتاج إلى خبراء. وعلى العرب أن يزحفوا نحو أفريقيا بخيراتهم وأبحاثهم وأموالهم.

و لا بد أن ينشط التعاون الاقتصادي الاجتماعي بإنشاء المؤسسات المالية في البلدان الأكثر تخلفاً مما يحدث حراكاً اجتماعياً للنقل كما يحدث التفاعل بين الدول العربية الأفريقية بإنشاء البنوك والشركات الصناعية والتجارية وتقديم المساعدات في المشاريع التي تحتاج إلى رأسمال أجنبي.

٤ ـ خلق آليات التواصل الثقافي

إنّ جدلية التواصل الثقافي العربي الافريقي تتم عبر محاور ومراحل عدة، منها الاهتمام بالبحوث والدراسات الافريقية والعربية والتبادل الثقافي بين الدول في خطة تتسم بالشعبية أكثر منها الرسمية والتعامل الدبلوماسي، لأن ما يربط الشعوب في المنطقتين قد لا يربط الدول عبر العلاقات الدبلوماسية.

إن إقامة المراكز الثقافية والبحثية في الدول لتعبر عن تواصل ثقافي بين الشعوب عبر

الخطاب الثقافي من خلال الإسهام الفكري والحوار الجاد والمساهمة الفعالة في التضامن مع الشعوب عبر آليات الثقافة والتواصل الإعلامي. وإن الثقافة هي جزء من التراكم المعرفي، وليس كل التراكم المعرفي.

التعليم الجامعي وإنشاء الجامعات العربية في أعماق افريقيا والمراكز الافريقية في العواصم العربية أمور تعني التواصل بين الشعوب، وتتيح الجامعات العربية الفرص الدراسية لأبناء افريقيا في البلدان العربية. وهناك سمات ثقافية تربط بين البلدان العربية الافريقية مثل اللغة والدين والعادات والموروثات الثقافية مثل قيم الخير الشجاعة والفضلية التي تدعو لها الثقافات العربية، ومنها الافريقية.

وهناك آليات للتواصل الثقافي تتمثل في:

اللغة:

وهي المدخل للتواصل الثقافي يعبر عن مكوننا الاجتماعي السياسي داخل المجتمع العربي وما حوله من المجتمع الافريقي، وان تكون هناك لغة تواصل.

الترجمة:

يتم عبرها التواصل الثقافي بين الوطن العربي والافريقي. وتحدث الترجمة تواصلاً بين العالم العربي الإسلامي وافريقيا، فيطلع المثقف العربي على أمهات الكتب التي تتحدث عن افريقيا باللغات الأصلية التي كتبت بها. ودون عمل ماكينة الترجمة لن يصل التواصل الثقافي بين الحضارات الافريقية والعربية الى مثاقفة حقيقية □